



أيلول - تشرين الأول ١٩٥٢

العدد السادسة والأربعون

## تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملقب (تابع)

بقلم أبى اسحق ادمة السرياني

بعد الراشد المقتفي عمه ابن المستظور

تولّى اربعاً وعشرين سنة وشهرين . بعدما نُخلع الراشد استدعى السلطانُ  
الوزيرَ شرف الدين زبيني وفوض اليه امر انتخاب خليفته . فاختارَ عمَّ  
المغزول لكونه صهره زوج ابنته . وسار السلطان مسعود الى البلاط في اقطابه  
وأحضروا المقتفي وواقفوا عليه بعدما قرّر ان يدفع للسلطان مائة ( ٣٠٠ )  
وعشرين الف دينار . ولم يكن يومئذ في خزانة الخليفة دينار واحد . انما كان  
للمقتفي قبل خلافته عشرة آلاف دينار انفقها في حيلة مبايعته بالخلافة : والتفت  
الحطبة للراشد وللسلطان داود وتأيدت للمقتفي وللسلطان مسعود . قيل ان

السلطان لما غادر البلاط استدعى اوزير زيني وعاتبه بسبب انتخابه للعتقي وقال له : لقد اسأت بانتخابك رجلاً كاملاً كهلاً عاقلاً . فلو انتخبت فتى ورثته لنظر اليك نظرة امتنان وشكر وأصبح أمر الخلافة وسياستها بيدك زماناً مديداً ريثما يبلغ الرشد . والآن فكن على ثقة من ان زمان وزارتك لن يطول مع هذا الذي اصطفيته وسترى حقيقة ذلك .

ولما دخلت السنة ٥٣١ للهـ للعرب ( ١١٣٦ م ) ارسل ابن دنشند صاحب ملطية سفيراً الى السلطان في بغداد يتوسل اليه ان يعيده الى منصبه . ولما مضوا بالسفير ليقتل الاعتاب كالعادة تمنع وأبى وقال : لست أقبل اعتاب دار طرد منها صاحبها .

اماً زنكي فقد حشد جيشاً وسار الى تكريت وناوش قطع السلطان مسعود وانقلب الى الموصل . فأرسل اليه المقتدي ووعده بمشورة اماكن مقبرة بشرط ان يكف عن معاضدة الراشد . فقال زنكي : لقد أقست بان لا اسله اليكم ولكن اذا اعطيتسرفي تلك الاماكن خطبت باسمكم وكففت عن مساعدته ولكنني لن اسرعه من عندي . فاعطاه الخليفة تلك الاماكن المشرة ومنها حرثي وحاصيرة وحاريفين والحلة وغيرها . وقد خطب زنكي للعتقي وللسلطان مسعود وترك الراشد لديه في دار الذهب بالموصل .

وظهر في تلك الاثناء عجوز تخدم بيت تاجر بجانب باب الأريج ببغداد . وسافر التاجر ليتاجر ( ٣٠١ ) وظلت امرأته وابنته والعجوز المذكورة في البيت . ثم اتفقت العجوز مع ابنها وبعض السراق فأقبلوا ليلاً ودخلوا الدار ونهبوا كل ما فيها . ولما خرجوا قالت العجوز وامرأة التاجر : نشكر الله تعالى الذي أعمى عيونهم ولم يفتحو الصندوق . فسبح السراق وانقلبوا ففتحوها وأخذوا منها اربعة آلاف دينار وحجاراً كريمة ولائي وانصرفوا .

وتبارز مسعود وداود فانكسر مسعود وقتل الكثير من رجاله .

وفي السنة ١١٤٨ لليونان ( ١١٣٧ م ) سار ايوني ملك اليونان الى قيليقية ساخطاً على لاون الارمني ودوخ طرسوس وأطنة والمصيصة وقبض على لاون وعلى امرأته واولادها ورحلهم الى قسطنطينية . ثم توجه الى انطاكية فامتنت

عليه . وأقبل اليه جوسلين وتمّ الاتفاق بان الفرنج يعطونه انطاكية متى احتلّ حلب وسورية وتحمّى لهم عنها . ثمّ زحفاً معاً الى حلب واحتلاً بزاعة واقامسا محاربين يحاصرون شذر .

واقبل حين ذلك مسعود سلطان قونية الى قيليقية واحتل آتنة وأجلى اهلها جميعاً مع اسقفهم واستاقهم الى ملطية . فسح ايوني واحرق المنجنيقات وانتقل الى قيليقية وهادن مسعوداً وعاد الى عاصمته .

اماً محمود صاحب ملطية فقد طرد اخاه دولة وانتزع من يده ابلستين وجيجان . وسار دولة الى هتزيط فأمد وزار جوسلين وجعل يطوف البيوت بيتاً بيتاً .

وظهر يومئذ الامير عيسى صاحب سويوك وكان يمتّ بصلة الى بوغوص الارمني الذي سار الى بغداد ودخل في دين الاسلام . فحشد الجند وانطلق الى جرجر ليفروها فشاهدا خربة . فوجه انظاره الى الاديار والصوامع وانقضّ على دير مار (٣٠٢) الجاي المعروف بدير السلام ولم يتيسر له الوصول اليه من ناحية شاطي الفرات فسلب الصخر وأحدرّ اليه رجاله فانهزم الرهبان فاحتلّ الدير واحترى على ما به من امتعة وكؤوس واطباق فضية وصلبان واقطلع قناة الماء التي وضعها البطريرك يوحنا بن عبدون (١٠٠٤ - ١٠٣٠) وبمث الرّبّان داود الناسك الى دير شيرا ولم ينج سوى دير ابي غالب المعروف بدير مائدة الملوك وهو باطراف آمد .

وفي السنة ٥٣٢ للهجرة (١١٣٧ م) انطلق الراشد الخليفة المنزول من الموصل الى خراسان ليזור السلطان داود . فتحمّى له السلطان وسارا معاً الى همدان وانترعاها من يد السلطان مسعود . ثمّ توجه الراشد الى اصفهان فادركه داء عضال وورث اليه وهو طريح الفراش اربعة خراسانيين وفتكوا به . ولو لم يفتكوا به على ما قيل لماجلته المنية بسبب دانه وقد سبقي سماً ثلاث مرّات . ودفنوه بباب اصفهان حيث صرع . وقد قُتل والده كذلك عند باب مراغة .

ولمّا كان الاتراك يحاصرون الرها عام ١١٤٩ لليونان (١١٣٨ م) حشد الفرنج ثلاثمائة فارس واربعة آلاف راجل وساروا من سيماط لينقلوا المؤونة

الى الرهاويين . فونب اليهم كما . تيورطاش صاحب ماردين وفتكوا بكثيرين من المسيحيين واستاقوا البقية عبيداً وفي جملتهم الشاس ابو سعد الطيب الفياسرف وميخائيل ابن شومنا وابنه . وانتزع تيورطاش كذلك قلعة كسوس من الفرنج . ودخل مسرد سلطان قونية بلد الكيسوم وغزاه وأحرق القرى .

وفي الشهر الثاني من السنة ٥٣٣ للعرب ( ١١٣٨ م ) حدثت زلزلة هائلة في غزنة ببلاد العجم واهلكت مائتين وثلاثين الف نسمة وقوضت المدينة برمتها وانبثق من أرضها مياه سوداء . وخرج الذين نجوا من القائلة ( ٣٠٣ ) وأقاموا في المقابر يندبون اهلهم .

وفي السنة ١٤٥٠ لليونان ( ١١٣٩ م ) زحف الملك محمد صاحب ملطية الى قيليقية واحتل حصن هاجاي وحصن جينوفيرت وسار الى قاسينوس وهي على ساحل بحر بنطس فغزاها وأجلى اهلها جميعاً وباعهم عبيداً .

وفي السنة التالية انفجحت ارض الرقة وبلبت اربعين فارساً مع افراسهم ونجا احدهم كان قد ذهب يتغوط . وظلت اصوات البشر وزججرة خيلهم تدوي مدةً مديدة .

وفي السنة ٥٣٤ للعرب ( ١١٤٠ م ) صح ما قاله السلطان مسود للوزير شرف الدين وهو انه لم يُصب في انتخاب الخليفة المتقني اذ نشم هذا يتصرف في شؤون السياسة دون استشارة الوزير واتزوى الوزير في بيته . فاستحضره الخليفة وانتوى في حقه نية خبيثة وكف يده عن اعماله شئ وما عثم ان عزله بالمرّة .

وفي تشرين الاول ٥٣٥ للعرب وهي السنة ١٤٥٢ لليونان ( ١١٤١ م ) سار اترك ملطية الى اديار زابار وهي اديار قنايا ونهبوها . واقبل الفرنج في ايار ليندوا ووصلوا الى زبطرة وعرقه ونهبوا اموال المسيحيين كما نهبوا الاترك . ثم زحف الفرنج الى أبلستين ونهبوا المسيحيين وفتكوا بكثير من الاترك واعتقلوا اولادهم ونساءهم فسخط الاترك وزحفوا من هتريط وصادفوا مطران قليسورا القديس في جبل ابدهور فقبضوا عليه واعتقلوه هو ومن معه وحاولوا ان يقتلوهم فباغتهم الفرنج وهزموهم وفتكوا المعتقلين وسرّحوهم .

وزحف ايوبى ملك اليونان الى نوقيسارية وظل مسكروهم ومعسكر الاتراك ستة اشهر لا يناوش احدهم الاخر ثم انفرطوا دون حرب . وكان الاتراك يومئذ يجيزون على كل نصراني يلفظ اسم ملك ( ٣٠٤ ) اليونان او الفرنج كيفما كان وقد فتكوا بكثيرين من الملقطين لهذا السبب .

وفي السنة ٥٣٦ للمرب ( ١١٤١ م ) أرسل خوارزم شاه الى ملك الهونيين الذين لم يسلموا وكان العرب يستونهم « كافر ترك » كي ينازل السلطان سنجر قاتل اخيه . فتأهب اولئك الهونيون وهم ثلاثائة الف وناوشوا مائة الف من اصحاب سنجر عند نهر جيحون واهلكوهم قاطبة . ولم يفلت سنجر من سيوف الهونيين الا في ستة فقط من رجاله فما قيل وتوجه الى بلخ . وقد أجلوا امراته وابنة بنته مع اربعة آلاف امرأة . وهكذا اتلفوا المائة الف قتلاً وسياً .

وفي السنة ١٤٥٤ لليونان ( ١١٤٣ م ) مات الملك محمود في قيسارية وأوصى بالملكة لابنه دوانتون . لكن امرأته الخاتون استدعت اخاه يعقوب ارسلان واقتربت به وولته سبطية . فانهزم دوانتون الى سينادو وتولى قيسارية . اما الاخ الآخر اعني دولة فقد اتفق مع يونس صاحب حصن سارا وسارا الى ملطية وحاصرها فامتنت عليهما فغادراها الى عرقة . وارسلت اذ ذاك الخاتون التي جندي الى ملطية ليحرسوها ويخرجوا من فيها من الاتراك ويحلوهم الى سبطية . فثار تائر الاتراك وحطوا بالفؤوس باب المدينة وهو باب بوريديه على رغم الحاكم وهزموا الزاحفين وارسلوا فاحضروا دولة في اليوم عينه وولوه المدينة . وعند ذلك زحف مسعود سلطان قونية الى سبطية ودوخا واخرينا وانقلب الى ملطية وحاصرها في سابع عشر نيسان وصوب اليها المتاريس وضايقتها . اما دولة فجعل ينكل بالمسيحين ويطلبهم بالاموال ليدفع الى المحاربين . وبعد ثلاثة اشهر ( ٣٠٥ ) احرق السلطان بقنة المجانيق واراحل ليلة عيد الصليب ١٤ ايلول واستراح الاهالي .

وفي نيسان تلك السنة خرج ايوبى ملك اليونان للقنص . فثار ختير برى واجيز عليه . واوصى بالملكة لابنه منونيل التي وكان ابنه الكبير غائباً .

وتولى الفتح المملكة في نيسان ١٤٥٥ لليونان ( ١١٤٤ م ) ولما دخل العاصمة رحب به اخوه واذى له التحية والاكرام وايده في منصبه .  
 وكان ملك اورشليم الفرنجي كذلك يقتنص وسقط عن الحصان فقضى .  
 وخلفه بنفدوين الثالث ابنه للضيق وتوت امه . سياسة المملكة بسبب حداته .  
 وفي السنة المذكورة مات داود صاحب حصن زياد وخلفه قرا ارسلان ابنه الصغير . وكان ارسلان طفيمش ابنه الكبير عند زنكي بالموصل . فاقبل زنكي ليعمد قرا ارسلان ويقيم مكانه اخاه . فاستجد قرا ارسلان بالسلطان مسعود في قونية فأنجبه بمشرين الف فارس عاد بهم ليارز خصه فانقلب الى الموصل بلده . ثم اقبل مسعود المذكور الى ملطية وحاصرها ثلاثة اشهر ثم تركها وارتحل .

### انتزاع الرها من يد الفرنج

في السنة ١٤٥٦ لليونان ( ١١٤٥ م ) كان جوسلين صاحب الرها في انطاكية . فكتب الحرانيون الى زنكي بان المدينة لا عسكر فيها . فاقبل زنكي في جيش جرار الى الرها يوم الثلاثاء ٢٨ تشرين الثاني وحأوا في ضواحيها وخيروا عند باب الساعات قرب كنيسة المعترفين . واقاموا سبعة منجنقات ضخمة وصغيرة . واقام رهبان الجبل على السور يحاربون . والنساء هناك يقدمن لهم الحجار والماء والطعام . وحفر الاتراك تحت الارض حتى بلغوا السور ( ٣٠٦ ) وحضر الرهاويون كذلك وبرزوا لمقاتلتهم وفتكوا بمن صادفوه في الحفرة . وعادوا فابتنوا سوراً ثانياً تجاه الحفرة . اما الاتراك فحفروا برجين . ولما تخالفت سائر الابراج وكادت تسقط ارسل زنكي يقول للرهاويين : خذوا متاً رجلين وابشوا لنا رجلين ليشاهدا الابراج قد تداعت ولسوا المدينة قبلما تؤخذون بالسيف .

غير ان ( المطران ) بيوس رئيس الفرنج في الرها سخر بزنكي واتقأ بان جوسلين وملك اورشليم يرافيان قريباً لمساعدة المحاربين : وعند ذلك اضرم الاتراك النيران باخشاب الابراج فستطت وجعلوا يدخلون التربة ووقف هناك

الرهاويين وبيوس والاساقفة معهم ليصدّوهم عن الدخول . وامتلت تلك  
الترعة من جثث القتلى الاتراك والرهاويين . وتجهر الرهاويون جميعاً عند التربة  
ورأى الاتراك ان المحاربين قد غادروا السور فوضعوا السلام وتسلّقوا فارتحلت  
غزائم الرهاويين وجعلوا ينهزمون الى القلعة . لعسري اي لم يمكنه ان يتكلم  
ام اي اصعب لا تترمد اذا حاولت ان تخط ما جرى من الفوائل والاهوال في  
الساعة الثالثة من يوم السبت ثالث كانون الثاني ا فقد دخل الاتراك وسيروهم  
مسولة تشرب دماء . الشيوخ والفتيان والرجال والنساء . والكهنة والكاهنسة  
والزهبان والنسك والراهبات والمذارى والرضعان والعرائس . يا لها رزية الية  
مرّة ا مدينة اجور خليل السيد المسيح أمست موطناً للاقدام بسبب اثنا ! يا  
للضيق والشدة ! كفر الابناء بأبائهم والآباء بابنائهم . نسيت الام عطفها على  
صغارها وسارع كل واحد الى قمة الجبل .

أما الكهنة الشيوخ فكانوا حاملين صناديق ذخائر الشهداء . وهم يقولون مع  
مينا النبي : « اني احتل غضب الرب لاني خطنت اليه » ( ميخا ١٠:٢ )  
فواظبوا على الايتمال ولم ينهزموا حتى اسكبتهم ( ٣٠٢ ) السيف . وشهدوا  
بعد ذلك وقد تضرجت بدلائهم بدلانهم . وهناك امهات كثيرات جمعن اولادهن  
كما تجمع الدجاجة فرايحها ينتظرن الموت جيماً بالسيف او السور الى المبودية .  
أما الذين انهزموا الى القلعة فقد اغلق الحراس ابوابها تجاههم وهم يقولون :  
لن نفتحها لكم إلم نشاهد وجه بيوس . ولكن بيوس تمدر عليه القدوم  
مع الاولين وقد اهلك الازدحام كثيرين وتراكت الجثث كوماً كوماً عند باب  
القلعة ولما وصل بيوس اصيب بسهم ارداه .

ولما شاهد زكري تلك الاهوال امر بالكف عن القتل . وشهد المطران  
باسيلوس عرباناً حافياً يجره تركي بالحبل . وما ان رآه زكري ولمح التهمة التي  
على وجهه حتى سأله من انت ؟ ولما عرف انه هو المطران أمر فالبسوه ثوباً  
ومضى به الى خيمته وجعل يعاتبه ويلومه لان الرهاويين لم يشفقوا على انفسهم  
ويسلوه المدينة . فقال له المطران : ان العناية الربانية شامت ان تمنحك القلعة  
وتذيع اسمك بين الملوك ورفاقتك وتوليننا نحن الاذلاء . دالة لديها لاننا ما غدرنا

ولا حشنا بأياننا . فاستحسن زنكي كلامه وقال له : قد صدقت في ما قلت ايها المطران . فان الله تعالى والبشر كذلك يكرمون من يحافظون على ايمانهم ولا سيما اذا ثبتوا بيا حتى الموت .

وبعد يومين طلب الامان من كان في القلعة وسلّموها . وفكك الاتراك بكل من شاهدوا من الفرنج وانغصوا عن السريان وعن الارمن . على ان لساننا قاصر عن الاسترسال في ذكر تلك الداهية الدهية . ولا ريب ان نظرائه ان يفيضوا في المراثي ويستدعوا الناضحات الناديات لينظن مثلهم وينحن على الشعب المستحق العطف والشفقة .

وقد التهمت النيران يوم فتح الرها دير القرايط ببلد خرشنة واتلفت غرفه باسرها واجهزت على راهب شيخ وأفلت سائر الرهبان افلاتهم من كور النار . واحتترقت في اليوم ذاته قرية ببلد مرعش . وسقطت نار في دير ( ٣٠٨ ) مار برصوما واتلفت ثلاث غرف ريثما تمكنوا من اطفائها . وقد نظم في فتح الرها هذا ديونيسيوس ابن الصليبي قصيدتين وباسيليوس مطرانها ثلاث قصائد وخمستها يوزن مار يعقوب .

وبعد ما احتل زنكي الرها سار الى البيرة وهي قلعة حريزة للفرنج تطل على الفرات وحاصرها حصاراً شديداً . ووافاه اذ ذاك الحبر بان فتنة وقعت في الموصل وتتل نائب ناصر الدين . فترك البيرة وانتقل الى بلده . اما الفرنج فظافوا ان يعود زنكي فكجوا الى حسام الدين تيسورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردن وسلّموه اياها . وخاف ايلغازي ان يزحف زنكي الى بلاده ويحتلّ قلاع ولسائر ولايته فقوض قلاعاً كثيرة منها قلعة حور عبار وقلعة تلبسما وقلعة توما وقلعة تل شيخ وقلعة المرأة التي بجانب دير مار حنايا . واقام تيسورطاش يحاصر قلعة الهتساخ سنة واربعة اشهر حتى انتزعتها من صاحبها الكردي وعادته ودفع له كمية من الذهب وتحملي له عن بعض القرى .

وخرج ارسلان طقميش بن داود صاحب حصن زياد من عند زنكي وسار الى بلد تل ارسانيس وسأل اصحابه ان يسلموه اياه فأبوا لان اولادهم كانوا رهائن في حصن زياد . فطارب البلد واحتله واستعبد اهاليه وهم خمسة عشر

الفأ مع اسقفيهم طيناس و باعهم .

وفي السنة ٥٤٠ للمرب ( ١١٤٥ م ) وجه زنكي جنوداً الى قلعة فنك المجاورة لجزيرة قردو او هي جزيرة ابن عمر . وهي قلعة حريزة تطل على دجلة احتلها الاكراد البشويون منذ ثلاثمائة سنة .

وفي السنة ٥٤١ للمرب ( ١١٤٦ م ) اصلىح زنكي ذات البين في الموصل ( ٣٠٩ ) على اثر مقتل نائبه ناصر الدولة واقبل الى حلب وهي له وحشد الجنود وزحف الى قلعة جبر . ولما كان يوماً في خيسته احضر اليه الصنائع طباقاً ذهبياً لينظره فحنى رأسه وجعل يتأمله فامتشق احد حملة سلاحه سيفه وضربه من ورائه وحز هامته . وكان فيما قيل سكران غارقاً في النوم ليلاً . وان ثلاثة من عبيده اسرعوا الى اسفل القلعة وقالوا للحراس : اسحبونا اليكم لنبلغكم بشرى تبهجكم . فدلوا زنبيلاً وسحبوهم واحداً فواحداً فأخبروهم بما صار وقالوا لهم : انفضخوا بالابواب ونادوا من في اسفل القلعة وقولوا لهم انفضوا واذهبوا فاقبروا مولاكم قبل ان يتن . فاسرعوا اليه وشاهدوه مذبحاً .

اماً محمود بن زنكي الذي دُعي نور الدين وكان مع ابيه فقد شدد القتال على القلعة حتى كل هو والمحصرون . ثم قال لهم : سلوني قتل ابي وانتم كونوا في طائنية . فسلوه اوتلك اللاتة فاجيز عليهم واحرق جثتهم . وخلف زنكي اربعة بنين وابنة واحدة وهم : سيف الدين غازي ونور الدين محمود وقطب الدين مودود ونصرة الدين امير اميران واختهم . وشاد في الموصل دوراً ملكية اذ لم يكن بها قبله الا دار ملكية واحدة تجاه الميدان . وقد عم اساسها ووظد اسوارها . وفتح باباً يقال له باب عمادي غرس الحدائق حوله . وكانت الثمار ولاسيما العنب قليلة جداً في الموصل قبل زمانه حتى ان الخانوقتي كان اذا باع عنقود عنب قطعه بالموسى لثلاث تقع عنبه منه على الارض ( ٣١٠ ) . وقد ازدادت الثمار في الموصل بعد ذلك . وكان لزنكي اصحاب في بلاط السلطان ينجبونه سرّاً بما يجري هناك ليل نهار . وكان اذا وافاه سفير ما ، نهاه عن محادثة الجنود والاهالي .

ودفع يوماً لاحد عبيده طيغاً وقال له احفظه لديك . فاخذه ولقه بمنديل

وروضه في عبه وظلّ معه سنة كاملة وعند انتهائها سأله زنكي : ابن الطيخ ؟ فأخرجه فوراً من عبه وقدمه له . فاعبجه ذلك الصل وقال : الى مثلك ينبغي ان افرض حراسة البلد . ثم ولاه قلعة كواشي وسيره اليها .

رلزنكي صفات اخرى تدلّ على زهده وعلى بطشه بالمجرمين ايأ كانوا ضربنا الصفع عنها حباً للاختصار . وقد ملك سورية تسع عشرة سنة . وكان لديه حيناً قتل في قلعة جبر امير كبير عاقل-اسمه اسد الدين شيركوه . هذا قال لنور الدين بن زنكي : يلوح لي ان وزير ابيك يحاول ان يستيل الحيوث الى اخيك سيف الدين ويأتي به الى الموصل . فالاجدر ان اذهب بك الى حلب لتتولأها انت وتتولى سورية معها . وبعد هذا يسهل عليك احتلال الموصل واقليها وبلاد المشرق .

ولما تم ذلك اجتمع نور الدين بجيوش سورية ومضى بهم الى حلب وتولأها مع قلعها . ثم ارتحل اخوه سيف الدين الى الموصل وتولأها وآيده السلطان مسعود اذ كان يُخلص له المردّة . وسبق نور الدين فأذى له كذلك خدماً جليّ يوم كان والده حياً يُرزق . وارسل السلطان الى سيف الدين حلّة ملكية تأليداً له في منصبه . وكان نور الدين يخاف اخاه المذكور ( ٣١١ ) فيعش اليه بالمدايا معرباً له عن اخلاصه متحذراً ملاقاته . وبعد ما حلف احدهما للآخر سار سيف الدين الى سورية وبادر نور الدين اليه فانحدر لما شاهده وقبل الارض امامه . وانحدر سيف الدين كذلك وتماثقا وبكيا . وقال سيف الدين لآخيه : لماذا لم تأت الي هل خقت مني ؟ نين يا اخي بانه لم يحضر بيالي ما خطر ببالك . وماذا تفتني الحياة والبلاد اذا اسأت الي اخي ؟ هكذا اتفق الاخوان وعاد كل منهما الى بلده .

وعلى اثر مقتل زنكي سار ريموند صاحب انطاكية الى اطراف حلب وحماة وفك بكبيرين من العرب وغنم غنائم وافرة . وعند عودته ادركه شيركوه واستردّ منه الغنائم . وسار مجيد الدين صاحب دمشق الى بعلبك وشدد عليها حتى انتزعتها من نجم الدين ايوب والد صلاح الدين وترك له بعض القرى وعاد الى دمشق .

وفي تشرين الاول من السنة ١٤٥٨ للهجران ( ١١٤٧ م ) شخص جوسلين  
وبندوين صاحب الكيسوم الى ارها وتسلق رجاله الفرنج البرجين لئلا يجيئة  
عقدها مع بعض الارمن حارسي السور . فانهمز الاتراك الى القلعة . وعند  
الصباح فتح باب الماء . ودخله جوسلين . وما كاد يمر على ذلك ستة ايام حتى  
باغتهم نور الدين قادماً من حلب في عشرة الاف تركي . فشد جوسلين على  
الرهاويين المساكين واستاق الرجال والنساء والفتيان والفتيات قسراً في الساعة  
الثانية من الليل . ولما اصبح الصباح اردتهم الاتراك ووضعوا فيهم السهام  
كالبرد وهم يرشقونهم رشقاً ألياً . فبا لسحابة السخط والغضب ا تبأ ليوم خال  
من الرحمة ا تبأ لليلة جانحة وصباح جهنمي ا فقد انتقض الاتراك على الرهاويين  
الاذلاء ابناء المدينة المعبولة ا وتركهم الفرسان الفرنج وانهمزوا اذ عجزوا عن  
المقاومة ( ٣١٢ ) اما رجالهم فتعذرت عليهم الهزيمة وقصدوا حصناً خراباً  
يُدعى حصن كوكب واستجاروا به . وظل الرهاويون المظالمون والسيف  
يسحقهم سحق النار للهشيم . ولم يكتفوا بالقتل بل اخذوا يتزعرون احذية  
الباقيين وثيابهم ويوتقونهم بالحبال ويستجلونهم على الركض حفاة عراة رجالاً  
ونساءً ويضطرونهم ان يتبعوا الحبل . وقد أوفى عدد القتلى في المرّتين الاولى  
والثانية على الثلاثين الفاً . واستعد الاتراك ستة عشر الفاً ولم يُفلت مع  
الرجال الفرنج الذين انهزموا الى حصن كوكب سوى الف رجل فقط . وقد  
باع الاتراك كل من استاقوهم في مختلف البلدان وأمست الرها حاوية خالية  
مخضبة بدما . اولادها ممتلكة من عظامهم تبيعهم عليهم وحوش القفر ليلاً وتمتدئ  
بلحومهم . وامست مأوى لبنات آوى .

وقد قُبِدت جثة بندوين صاحب الكيسوم وأفات جوسلين اللعين الى  
سيماط . وانهمز باسيلوس مطراننا وقبض على مطران الارمن مع كثيرين  
من جماعته . واا سمع سائر الفرنج بما جرى من الفوائل في الرها تدفقوا من  
ايطالية واتبل ملك الالمان<sup>(١)</sup> في آمعين الف فارس وملك فرنسا<sup>(٢)</sup> الذي يدعوه

(١) كونراد ملك النمسة

(٢) لويس السابع ( ١١٣٧-١١٨١ )

العرب فوثق في خمسين الفاً سوى الرجالة الذين بلغوا حد الكثرة . وتوجهوا في السنة ١٤٥٩ لليونان (١١٤٨ م) الى قسطنطينية وحاربوها حرباً شديدة اذ اظلموا على خيانة اليونان وغدرهم . وبعد ما دفع لهم الملك منونيل ذهباً وافرأ وأقسم ان يديهم الطرق بامانة غدر بهم وارسل من دهم على طريق وعرة ورجال قاحلة لا ماء فيها . وظلوا اثنين خمسة ايام وانهمز اليونان هداثهم فقتضى ريوات منهم عطشاً هم وخيلهم . وسمع الاتراك فانقضوا على المشتين (٣١٣) في الجبال وجعلوا يفتكون بهم فئة فئة حتى امتلأت بلادهم من الغنائم وبيعت ووزنات الفضة في ملطية بيع الرصاص .

اما الفرنج الذين افلتوا وعادوا الى سواحل بحر بنطس فقد اخذ اليونان الجثاء يخلطون كلساً في القمح ويطعمونهم . فكانوا اذا اكلوا سقطوا كوماً كوماً وقضوا . وقد نجح ملك الالمان في ثلاثة من القملحة لا غير وسار الى اورشليم وصلى وتبرك بقبر المخلص واقام بضعة ايام ثم زحف الى دمشق في عشرة آلاف فارس وستين الف راجل . وكان عدد الاتراك والعرب نحو مائة وثلاثين الف راجل سوى الفرسان . ولما عرف الفرنج انهم على كثرتهم لا قوة لهم اخذتهم النخوة والشجاعة فحلوا عليهم حتى وصلوا الى الانهار ودخلوا الجنائن .

ايس المعين صاحب دمشق فارسل سراً الى ملك اورشليم وخدعه بالكلام والذهب وقدم له مائتي الف دينار من نحاس ملطوخة بذهب مصري . وارسل كذلك الى صاحب طبرية خمسين الفاً من الذهب المزيف وقد اطلع الفرنج على ذلك وادركوا الخيانة . على اني طالعت خمسة كتب عربية مختلفة لم اعثر فيها على حكاية هذا التريف . غير ان البطريك ميخائيل المبوط ذكرها في تاريخه . ولما اطلع ملك الفرنج على الغش والخداع ترك دمشق وعاد الى وطنه يتفطر قلبه غمًا واسفًا . تلك كانت عاقبة اولئك الجنود الفرنج الكثيري العدد والعدد .